الموسيقى والغناء
فى ظل الإسلام

لحضرة الدكتور محمود أحمد الحفنى
مدير تحقيق الموسيقى بوزارة المعارف

سيداتى ، سادتى :

يقوم أساس الحضارة فى كل عصر من العصور على مبدأ من مبادئ الفكر البشرى. وقد يكون هذا المبدأ دينيا ، أو سياسيا ، أو فلسفيا .

والظاهرة الغريبة فى كل حضارة هى أن الممالك والدول لا تزعزعها الحروب، ولا تهد كيانها نكبات الحوادث وزعازع الأخطار ، إنما يدكها دكا ، ويعصف بها عصفا الفساد الخلقى ، وتخاذل النفوس ، والاندفاع وراء الشهوات . وقديما كان الفساد وانحلال الأخلاق والاستهتار وارتكاب الموبقات من أشد عوامل هدم المدنيات .

والموسيقى ، وهى الدرة اللامعة فى تاج الفنون الجميلة ، قوة فعالة فى بث الأخلاق ، وخلق العاطفة فى النفوس. وإذا خلقت العاطفة فى الإنسان فقد خلقت فيه الأخلاق، لأن عاطفة الحب مثلا تتطور مع الإنسان. فإذا أحب إنسان المجتمع بذل جهده فى خدمته . وبذل الجهد فى خدمة المجتمع أول واجبات الإنسان فى الدستور الأخلاق . ومن أحب الإنسانية عمل على الإحسان إليها ، وتلك إحدى صفات الرجل المهذب . وإن أحب دينه حسن إيمانه وزادت محبته فى الله . وهذا أهم واجبات الإنسان .

وعاطفة الفرح مثلا تبعد عن الإنسان الكآبة التى تنغص حياته وحياة المتصلين به . وإذن يرى واجبا أن يعمل على نشر البهجة والسرور فى نفوس معاشريه. وتلك فضيلة خلقية.

وهكذا تترقى بنا الأمثلة فى جميع النواحى الخلقية التى تخلقها العاطفة ويبعثها النغم الموسيقى .

والتأثير الموسيقى هو الباعث ، ولا ريب ، للكمال الأدبى فى الإنسان بترقية طباعه وتهذيبه، فإن سماع الأنغام يوقظ المشاعر ويلهب الحس فيدفع بالعاطفة نحو السمو . وبالعقل نحو التفكير . وبالخيال نحو دنيا الروح . وعلى الجملة فإنها تكبت الشهوات الجسدية ، فيسود العقل والعاطفة والروح على النفس البشرية .

وقد يكون لمعترض أن يقول : إن الموسيقى قد تكون أحيانا أداة شر . وسنده فى ذلك ما يراه فى بعض أماكن اللهو والسمر غير البرىء . ورأينا فى ذلك أن الموسيقى ما كانت ، ولن تكون ، أداة شر ، وهى مرققة الشعور ، ومهذبة الوجدان ، ومرهفة الحس . وإنما قد يكون الشر ، بعضه أو كله ، فى الشعر والمونولوج إذا كانا يحملان فى طياتهما سموما فكرية حاضة على الرذيلة . وإذن فلا ذنب للموسيقى ، إنما الذنب ذنب الشعر وواضعيه .

وقديما أدرك هذا الخطر قدماء المصريين ، فقد كانت موسيقاهم مثلا ساميا لموسيقات المدنيات القديمة ، ذلك أن الكهنة — وهم علماء هذا الفن وحراسه — كانوا شديدى السهر عليها وعلى كل ما يتغنى به . فقيدوا الشبان ولم يتركوا لهم الحرية فى الموسيقى والتغنى . وهذا أفلاطون يقول :

” لم تكن الموسيقى عند قدماء المصريين حرة ، بل قيدتها القوانين ، فتحتم على الأطفال مزاولتها فى سن معينة ، كما حرم على الشبان الا يتغنوا إلا بما ينتقيه لهم الكهنة من الموسيقى الجيدة التى تطهر النفس ، وبما يتخيرونه لهم من الأغانى الحاثة على الفضيلة ومكارم الأخلاق “ .

ولقد احتضنت الأديان التى تعاقبت بعد قدماء المصريين الموسيقى ، واستخدمتها وسيلة ناجعة فى نشر ألحانها وتراتيلها ، وأداة لتهذيب الشعوب وتطهير النفوس وتوجيهها الوجهة الدينية الصالحة التى تحض على الخلق القويم .

وجاء الإسلام فضرب المثل العليا لمبادئ الاجتماع المؤسسة على مكارم الأخلاق ، والسمو النفسى ، والكمال البشرى ، فكان دين الحضارة الطاهرة ، والمدنية المصطفاة ، أو إن شئت فقل هو دين الخلق القيم . فكان لزاما أن تنهض الموسيقى فى أحضانه ، وتزدهر فى عزه ، وترقى حتى تكون نتاقة فى كنفه .

وما فى هذا عجب ، فقد تعاطى الموسيقى من غير المشتغلين بها فريق من أجلاء الأئمة والعلماء والصالحين والخلفاء ومن يليهم من الأمراء والأشراف والأتباع والمقربين .

قال حسين بن دحمان الأشقر : كنت بالمدينة فخلا لى الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى :

ما بالُ أهلك يا ربابُ خزرا كأنهمُ غِضابُ

فإذا خوخة قد فتحت (وهو البويب الصغير فى الباب الكبير) وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء فقال : يافاسق ، أسأت التأدية ، ومنعت القائلة (القيلولة) ، وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنيه ، فظننت أن طويسا قد نشر بعينه . فقلت له : أصلحك الله . من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وآخذ عنهم ، فقالت لى أمى :

يا بنى إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لا يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه ، فتركت المعنين واتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بى عز وجل ما ترى . فقلت له : فأعد ، جعلت فداءك . قال لا ، ولا كرامة ، أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس ، وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

وهـذا السيوطى يقول عن شيخ الحنفية الكمال بن الهمام الذى بلغ مرتبة الاجتهاد ، إنه كان علامة فى الموسـيقى . وروى ابن خلكان أن الفقيه أبا مروان بن الماجشون ، تلميذ الإمام مالك كان مولعا بالغناء . ويقول أبو الفرج فى كتاب الأغانى إن أحمد بن حنبل قدم دليهم بغداد ومعه من يغنيه . واستطرد أبو الفرج فذكر جماعة من أجلاء الشيوخ سجل لهم أصواتا ذكر ضربها وإيقاعها بالرواية والسماع .

ولئن تفرغ النبى عليه الصلاة والسلام ، لنشر دعوته ، وتبليغ رسالته ، واشتغل بالغزوات ومحاربة الكفار من قريش ، فلقد كان عليه السلام ، يتقبل الغناء ويدعو اليه فى مناسباته . من هذا ما سمح به لجارية من قريش نذرت لئن رده الله من غزوه لتضربن فى بيت عائشة بدف . فلما رجع الرسول الكريم ، جاءت الجارية تريد أن تفى بوعدها . فذهبت عائشة ، رضى الله عنها ، لرسول الله تخبره قالت : فلانة ابنة فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب فى بيتى بدف ، فقال لها فلتضرب .

وكذلك ما روى من أنه ، صـلى الله عليه وسلم ، دخل على زوجه أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، وهى ترف جارية لها من الأنصار فقال لها : يا عائشة ألا تبعثين معها من يغنى فإن أهل هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء .

وما روى عنه صلى الله عليه وسلم يمتدح أبا موسى الأشعرى حيث قال : " لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود " . وما تناقله الرواة والثقات من أنه صلى الله عليه وسلم أذن لبلال بن رباح الحبشى فى الأذان بصوته الجميل .

وكان عمر رضى الله عنه ، راضيا عن الموسيقى والغناء ، فقـد روى صاحب العقد أن عمر بن الخطاب قال للنابغة الجعدى : أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ، فأسمعه كلمة له . قال وإنك لقائلها ؟ قال : نعم . قال : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب .

وهنا يجدر بنا الوقوف . فقد نفهم من هذه الرواية أن الغناء لدى عمر كان صنفين : صنفا "يعفو الله عنه" وصنفا " لا يعفو الله عنه " وهو تعبير دقيق يدل بأجلى بيان على أدب عمر ، وجمال ذوقه ، ورفاهة حسه . وما من ريب فى أن كثيرا من الأغانى التى تداولتها

العصور المختلفة تدخل فيما " لا يعفو الله عنه " لأنها أبعد ما يكون عن الحمية والفضيلة والنجدة وتشجيع الخلق الكامل، وتزويد الشعوب بأرقى صفات الرجولة والعفاف . وحسبنا ما نشكو منه الآن .

إذن لم يكن عمر يكره الموسيقى إطلاقا ، إنما كان يكره منها المخنث الذى يبعد الشعب عن الجهاد والخشن ، ويسلمهم إلى الرفاهية والطراوة . وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ولا من خلق عمر ، ولا يليق بالخلق القويم .

تزعزعت الموسيقى فى أيام عمر ، فقحمت منازل الأمراء والأشراف وسايرت مجالس الشعر والأدب . وما كاد يهل عصر عثمان ، رضى الله عنه ، حتى سجلت أخبار المدينة أن رائقة المغنية المشهورة ، وتلميذتها الفتية عزة الميلاء ، وغيرهما ، كن يحيين فيها حفلات موسيقية رائعة يحضرها أشراف القوم وفتاتهم ، وعلى رأسهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى فى صدر الإسلام قد لبست ثوبا دينيا ناصعا ، يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل فى أنفس الناس سريان العافية فى الجسم السقيم . وآية ذلك ما بين أيدينا من أحاديث مأثورة عن مشهورى الصحابة فى مدح قارئ القرآن ، إذا كان جميل الصوت ، لم يخرج عن الحد المعقول فى القراءة ، والأدب الواجب للقرآن. وهما رفع القرآن الكريم علم الموسيقى عاليا بين العرب ، وأنشأ علم التجويد.

ومن إعجاز القرآن نظمه الموسيقى الرائع الذى يسيطر على مستمعيه ، ولو كانوا غير مسلمين ، حتى قال بعض الأجلاء : " إن قوانين الموسيقى قد لحظت فى القرآن تامة مكتملة " . إذن فإن للموسيقى نصيبا موفورا فى القرآن الكريم ، وهو عماد الدين ، ومدار السعادة والعزة للمسلمين .

وكذلك الشأن فى بعض الشعائر الأخرى ، كالأذان للصلاة العامة ، والأذان للصلاة فى شهر رمضان خاصة ، وصلاة العيدين وتلاوة التكبيرات فيهما فى لحن موسيقى رائع ، مما يرقق حاشية الروح ، ويلين القلوب الغلاظ ، ويهيىء الناس لتلقى النفحات الإلهية فى بهجة وانشراح .

أما الصوفية ، وما تقيم من حلقات الذكر ، فهى فى غير حاجة إلى شرح أو تطويل .

سيداتى ، سادتى :

ازدهر الإسلام فى العصر الأموى ، واتسعت فتوحاته فى أيامهم شرقا حتى وصلت الى الصين ، وغربا حتى بلغت المحيط والأندلس. ولقد قيل بحق إن الخلفاء الراشدين جعلوا من الإسلام دينا كما جعل الأمويون منه امبراطورية.

وفى ذلك العصر وضعت الألحان العربية على إيقاعات متعددة ، وأصبح للموسيقى حظ العلوم والفنون الأخرى ، فأينعت وأثمرت ، وأنتجت صفوة من أعلام المغنين والمغنيات .

كان الروح العربى الموسيقى روحا فنيا رياضيا ، غير متعصب ولا جامد ، فما كاد يتصل بالمدنيات الفارسية واليونانية والمصرية حتى تشربها ، ونقل غناءها إلى غناء العرب ، وآلاتها إلى آلات العرب محافظا فى كل ما اقتبس أو نقل أو حاكى ، على الطابع العربى والأسلوب العربى ، والروح العربى .

فهذا ابن مسجح ، وهو أحد فحول المغنين ، فى العصر الأموى ، كان فى حداثته يستمع إلى الأعاجم تتغنى بالفارسية بمكة ، فنقل غناءهم إلى شعر عربى ، مما حفز مولاه — تشجيعا له على دراسة فن الغناء — أن يوفده فى رحلة إلى الشام ، لتعلم هذا الفن ، فرحل وأخذ ألحان الروم ، ثم انقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيرا ، وتعلم العزف ، ثم قدم إلى الحجاز ، وقد أخذ محاسن النغمات فحذقها ، وكان قد هضم ما أخذه عن الأعاجم من فن الموسيقى والغناء ، فاستبعد منه كل ما يتنافى مع الذوق العربى والطابع العربى ، وصاغه مذهبا عربيا صميما ، اتبعه الناس فيما بعد . وأخذ عنه ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض وهؤلاء هم مؤسسو المدرسة الحديثة فى الموسيقى العربية وأساتذتها .

وما كان يخفى على الخلفاء شأن هؤلاء الأساتذة فى تدعيم هذه المدرسة والنهوض بالموسيقى إلى الشأو الذى يصلح لأن يكون ركنا من أركان الاجتماع ، وعمادا من أعمدة المدنية الإسلامية ، فخصوهم بالاحترام والتقدير ، وأنالوهم الحظوة عندهم ، تدعيما للنهضة ، ونشرا لهذا الفن الجميل . ففى خلافة بنى أمية ، وفى أول عهدهم بالحكم ، رأينا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يشجع أهل هذه الصناعة ، بل تراه هو نفسه موسيقيا ، وملحنا ، عارفا بأنواع الغناء ، يسأل ابن مسجح ، وهو فى حضرته ، هل يغنى غناء "الركبان" وهو الغناء القديم ، وهل يغنى الغناء "المتقن" وهو الغناء الحديث . وما سأل أمير المؤمنين هذا السؤال إلا لمعرفته هذين الغناءين وإتقانه لهما .

وكان سليمان بن عبد الملك يقيم المسابقات بين المغنين ، ويجزل لهم العطاء .

وقد بلغ من تقدير يزيد بن عبد الملك أنه ما كاد يتولى الخلافة حتى اشترى حبابة المغنية بأربعة آلاف دينار ، وظلت موضع إكرامه حتى وفاتها .

وقد رأينا الوليد بن يزيد يعظم الرعاية للموسيقى وأهلها ، وقد بلغ من إكرامه لمعبد أنه عند ما مرض تولى أمره وآواه فى قصره ، فلما مات شيع الجثة بنفسه ، ومشى فى جنازته من قصره إلى موضع القبر . بل كان الوليد كذلك عالما بصناعة تأليف الألحان وله فيها ألحان مشهورة ، كما كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل والدف .

ولم تقتصر معاضدة أهل هذه الصناعة على الخلفاء ، بل سرت إلى الأشراف والنبلاء والسراة ، فقد كان لعبد الله بن جعفر مجالس طرب عظيمة يدعو إليها مشهورى المغنين ، وكان سائب خاثر ونشيط منقطعين إليه . كما كانت السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما مشغوفة بالغناء والموسيقى . وكان الغريض المغنى المشهور فى خدمتها ملازما إياها . وكانت عند ما يجتمع عندها المغنون تأذن للناس فى دخول بيتها إذنا عاما .

ومن مفاخر العصر الأموى أنه بدئ فيه بوضع أول تصانيف عربية فى أخبار الموسيقى والغناء ، فقد وضع يونس الكاتب كتاب " النغم " وكتاب "القيان" ، فكانا نواة لما صنف بعد ذلك .

هذه الموسيقى التى حاطها الإسلام برعايته فأنشأت المدرسة الحديثة الأولى ، وأخرجت التصانيف الموسيقية العربية الأولى ، بلغت عصرها الذهبى فى عهد العباسيين ، فإنها أسرعت الخطى نحو الكمال حتى بلغت أوج المجد وذروة العلا . زادت المقامات وطرائق الإيقاع حتى تعددت فى اللحن الواحد ، وكثرت الآلات وتنوعت وشاع استعمالها حتى عزفت مائة قينة معا وسما قدر أهل الموسيقى حتى اتخذ الخليفة منهم لنفسه نديما وجليسا .

ولقد بدت فى العصر العباسى ظاهرة جديدة ، تلك أن العرب أصبحوا لا ينظرون إلى احتراف الموسيقى — كسابق عهدهم — بشطر العين ، أو يتأبون احترافها ، فإن من أبناء أشرافهم من دخل فى زمرة أهل هذه الصناعة فى ذلك العصر . وكان من أساطين هذه الفئة — فئة الأشراف المحترفين — إسماعيل بن جامع القرشى المغنى الفحل . وهو من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمهم بآداب الإسلام . كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح ، ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصلى الناس الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

بل لقد احترف هذه الصناعة بعض الأمراء كابراهيم بن المهدى أخى الرشيد . كذلك كان الخليفة الواثق بالله موسيقيا من كبار الموسيقيين ومن أعلم الخلفاء بالغناء والتلحين ، بلغت صنعته فيه مائة لحن . وروى أنه كان أحذق من غنى وضرب على العود . وكان كثير التقدير للموسيقى وأهلها . وإن قوله فى إسحق الموصلى لدليل على ما كان يكنه خلفاء هذا العصر من احترام هذه الصناعة وأهلها ، إذ قال "ما غنانى إسحق قط إلا ظننت أنه قد زيد لى فى ملكى... وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ بمثلها ، ولو أن العمر والنشاط والشباب مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكى "

ولقد أعطى الخليفة الهادى إبراهيم الموصلى خمسين ومائة ألف دينار فى يوم واحد حتى قال إبراهيم : لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة .

هذه العناية من خلفاء بنى العباس بالموسيقى وأهلها ، وخلفاء بنى أمية بها ، أظهر دليل على سمو المدنية العربية الإسلامية ، لأن الموسيقى دائماً مقياس المدنيات .

ولقد يضطر الإنسان ، إذ يعرض أمثال هذه الحوادث — شاء أو لم يشأ — إلى أن يوازن بينها و بين أحوال أطلال الموسيقى فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر ، أى بعد التاريخ الذى نحن بصدده بنيف وألف عام . كان موسيقيو ذلك العصر ذوى مرتبة مكدودين ، يفعل بهم البؤس أفاعيله . و إليك موتسارت أكبر عبقرية موسيقية عشت فى أوربا فى القرن الثامن عشر ، فإنه على الرغم مما بلغ من الشهرة و بعد الصيت ، و بعد أن رحل إلى إيطاليا ونالت ألحانه الإعجاب والتقدير ، و بعد أن ظفر بمثل هذا الإعجاب والتقدير من فرنسا وانجلترا ، ما كاد يعود إلى وطنه النمسا حتى استدعاه حاكم مدينة زالتسبورج مسقط رأسه وضمه إلى قصره تجرى عليه معاملة خدمه ومهاناتهم ، حتى لقد كان يؤاكلهم فى مطبخ القصر . على أن الأيام لم تصف له بعد ذلك فعاش حياته فقيراً وقضى نحبه فقيراً . ولم يكن " هايدن " قبله ، ولا " بيتهوفن " بعده ، أسعد منه حظاً أو أكثر وفراً .

ولقد أسست فى العصر العباسى أول جامعة عربية لدراسة العلوم والفنون ، بناها المأمون فى بغداد ، وأسماها " بيت الحكمة " ، فاشتغل فيها فطاحل العلماء بترجمة علوم اليونان التى كان من بينها العلوم الموسيقية ومن حظ الموسيقى فى ظل الإسلام فى ذلك العصر أن ظفرت فيه بأعلام قرروا قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها ، ووضعوا فيها مؤلفات قيمة لا تزال إلى اليوم مرجعاً من مراجع العلم الموسيقى . ومن أئمة من عنى بهذا التأليف الموسيقى الخليل بن أحمد ، وإسحق الموصلى ، ثم إسحق بن يعقوب الكندى الذى كتب ما يربى على سبعة مؤلفات فى العلوم الموسيقية ونظرياتها ، وكان أول من استعمل فى كتبه تدوين الموسيقى بالحروف بشكل منظم . وأبو نصر الفارابى الذى كان من أكبر علماء العرب وفلاسفتهم ، كان موسيقياً بارعاً ، يجيد عزف بالعود ، ووضع كثيراً من الكتب فى الموسيقى . وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا فقد صنف ثلاثة مؤلفات موسيقية ، كان فيها أول من عالج موضوع تعدد التصويت بما يعتبر أساساً لعلم الهارمونى الحديث .

وفى ذلك العصر الذهبى اختيرت المائة صوت المختارة ، فقد كلف هارون الرشيد إبراهيم الموصلى و إسماعيل بن جامع وفليح بن أبى العوراء ، أن يختاروا له من ألحان العرب كلها مائة لحن ، ثم أمرهم أن يختاروا عشرة منها ، ثم أمرهم أن يختاروا ثلاثة من العشرة ، فكانت تلك الأصوات : لحنا لمعبد ، ولحنا لابن سريج ، ولحنا لابن محرز .

أما فى الأندلس — بعد أن فتحها بنو أمية وأظلها الإسلام ونشر فيها مبادئه الاجتماعية — فقد كانت إشبيلية أعظم مركز عالمى للموسيقى والشعر ، ولصناعة الآلات الموسيقية .

وما كان اهتمام خلفاء الأندلس بثقافة الموسيقية ، ورعاية شأن الموسيقيين ، بأقل من اهتمام بنى العباس ، حتى لقد كانت فى طليعة العلوم والفنون ، وذاع انتشارها ، ولم تقتصر على فئة خاصة ، بل غدت ثقافة عامة اشترك فيها جميع طبقات الشعب .

دخل العرب الأندلس فنقلوا إليها ماسبق معرفتهم له من الآلات الموسيقية فى الشرق ، ثم افتنوا فيها ، وزادوا عليها . ولم يقتصر افتنانهم على الآلات الموسيقية بل أوغلوا فى التأليف الموسيقى وأنواعه ، وساروا فيه بارتقائهم فى مدارج المدنية فأوجدوا الجديد فيها . ومن هذا الجديد : النوبة والرحل والموشحات .

وكان فضل زرياب على الموسيقى فى الأندلس أن زاد الوتر الخامس فى العود، واستعمل فى العزف على تلك الآلة ريشة النسر وكانت لا تزال حتى وقته من الخشب ، كما أوجد له فى الموسيقى مدرسة خاصة وطريقة جديدة فى التعليم .

ولقد ظلت الأندلس زهرة أوربا الناضرة طوال خمسة قرون ، تنشر عليها أريجها فى كل علم وفن ، وأرسلت أوربا إلى جامعاتها بالبعوث لارتشاف العلوم العربية ودراستها على أئمة العرب وأساطين علمائها ، فكانت الموسيقى أولى هذه العلوم والفنون التى وفدت البعوث لدراستها وترجمة كتبها .

وفتح العرب مصر ، فتعاقبت عليها المدنيات الإسلامية حتى بلغت عصر الفاطميين فكانت حضارتها فيه إحدى حلقات تلك الحضارات الزاهرة اليانعة . وكانت مصر ملتقى المدنيتين : العباسية والأندلسية تربطهما وتوحد بينهما .

وكذلك والى الخلفاء الفاطميون الموسيقى بالرعاية ، ووالوا علماءها بالتشجيع ، فكثر التأليف فى علومها وجمع أغانيها . وكانوا يبذلون فى هذه السبيل الطائل من الأموال ، ويجزلون العطاء للمغنين .

هذا هو شأن الموسيقى العربية فى ظل الإسلام ورعايته ، بلغت من الرقى والانتشار والذيوع درجة عالية تجلى أبلغ بيان عن رقى التمدن الإسلامى وحضارته ، وفى المخلفات الباقية بين أيدينا ، والتى تحفل بها كتب الأدب والفنون ما يدل على علو الموسيقى فى ظل الإسلام ووافر ثروتها .

ولئن ضعفت الموسيقى العربية ، بعد ذلك ، وأصابها الوهن حينا من الدهر من تقلبات المنازع السياسية فى الشرق ، فقد أحيا الأمل فى إنهاضها وإعادتها سيرتها الأولى من المجد والعظمة نهضة مصر الحديثة ، فى ظل رعاية الأسرة العلوية الكريمة ، حيث بدأ المصلح العظيم محمد على بكبير عهد لنهضة بإنشاء خمس مدارس للموسيقى فى مصر .

ولقد تعاقبت بعده الرعايات السامية حتى كان أبو النهضة العلمية الحديثة، مولانا الملك الراحل المغفور له فؤاد الأول رحمه الله، فخص الموسيقى العربية برعايته، وعقد لها مؤتمرا من أقطاب الموسيقى فى جميع الأمم، يبحث شؤونها وينظر فى أسباب رقيها ونهضتها. وقد نالت الموسيقى فى أيام جلالته، رحمه الله، ما تستحق من كرامة، حتى أصبحت فنا يدرس فى تعليمه والإلمام بأصوله وقواعده. وأصبحت تعد جزءا هاما من ثقافة الشعب، وعلما يدرس بالمدارس المصرية إلى جانب العلوم الأخرى، وتوفد البعوث إلى معاهد الموسيقى فى البلاد المتمدينة الأخرى للتحصيل والتزود بعلومها وفنونها.

ولا أمل معقود فى أن تتخذ النهضة الموسيقية سبيلها حتى تبلغ مجدها المنشود، وألا تطول فترة السكون التى تخيم عليها اليوم، بسبب الانصراف إلى ما يشغل البال من الشؤون الخطيرة.

وأكبر الأمل أن يلتفت القائمون بالأمر الهمة إلى الموسيقى لتستكمل أسباب نهضتها، حتى لا تضيع الجهود الجبارة التى بذلت فى إحيائها وإنهاضها عبثا وهباء.

وهذا الذى ندعو إليه من طلب رعاية الحكومة للموسيقى يدرأ عنها الخطر، بل يدرأ الخطر عن الحضارة المصرية. فإن لم تبادر الحكومة إلى علاج شامل يتناول التعليم والإذاعة والتأليف الغنائى العام والمسرحى، ويتدارك الفوضى الناشبة فى تلك النواحى، ساءت حال الموسيقى. ولكن غيرة الملك الصالح مولانا المعظم "فاروق الأول" على الإسلام ومبادئه السامية، ومدنيته العالية، هى خير ما يكفل للموسيقى عزا رفيعا، ومجدا شامخا فى هذا العهد من حكمه الإسلامى الزاهر.

وبعد، فإنى لأرجو أن تعاهدوا هذا الوطن الإسلامى، على أن تحاربوا بكل الوسائل ما لا يعفو الله عنه من الأغانى ما

محمود أحمد الحفنى